الرُّؤْية الحَضاريَّةِ في مَدائحِ البحْتريّ

د. جيهان أحمد إبراهيم السجيني (*)

مُلَخَّص البَحْثِ

فقد أتت هذه الدِّراسة بعنوان (الرُّؤية الحضاريَّة في مدائح البحتري) ، إذ عرضنا فيها بعض الملامح الثّقافية للمجتمع في العصر العبَّاسي الثَّاني، من خلال شعر البحتري . نلفيها في ثوبٍ من الرُّؤى جديد ، حيث التَّشبُّع بروح العصر ، والحسّ الثَّقافي ، في إرهافٍ وذوقٍ رفيعين .

وتلبس فيه القصيدة المادحة ثوباً جديداً ، بتمثُّلها موقفاً فكرياً ، يكشف عن الطبيعة المرحة في شخصية البحتري ، وتبنِّيها دوراً إعلامياً في التَّعبير عن سياسة الدَّولة، وصياغة المُثل العليا للمجتمع . فهو يرسم المثال لما ينبغي أنْ يكون عليه الحاكم، ويمضي على هديه المجتمع.

فقد شاهدنا انطلاقة البحتري في موقفه من تاريخ الفرس ، وإشادته بأمجاد " آل ساسان " وحضارتهم ، مؤكِّدين على أنَّه كان ذا ثقافة متحضرة ، يقدِّر قيمة الحضارة الفارسيَّة؛ بما حوته من شرف إنساني، وقيم أخلاقيّة، وماديّة، وما كانت تضمُّه من روعة الأبنية وجمال التَّصاوير .

وتخلص معايير الجودة – في القديم والحديث- إلى براعة البحتري في توظيفه لقصيدة المدح ، وإجلائها في معارض الطبيعة ، ومظاهر الحضارة المختلفة والارتقاء بها نموذجاً حيًّا يتفاعل مع تقلبات السِّياسة ، ومنعطفاتها في الدَّاخل ، والخارج، مما ارتفع بشأن المدح عن كونه وسيلة ارتزاق وتملُّق ؛ إلى كونه إبداعاً فنِّيًّا، يُعبِّر عن بعض الجوانب المهمَّة في الحياة.

(*) أستاذ الأدب والنقد المساعد- كلية العلوم والآداب للبنات بمحايل عسير- جامعة الملك خالد .

Alrruyt Alhadaryat Fi madayh Albhtry

Dr.Jihan Ahmed Ibrahim Al-Sejini
Professor of Literature and Criticism Assistant - Faculty of Science and Arts for Girls in Assil, Assir - King Khalid University

Abstract

some of the features of the cultural society in Abbasid second period, through the poetry of Al-Bohtori, in a new form, where saturation of the spirit and cultural sense of that times are presented in a unique way .

His poem of compliment, represent an intellectual stance that reveals the fun nature of Bohtori character and adopts a media role in expressing policy and shaping of ideals exemplary of society. It paints the example of what the ruler should be and goes on the guidance of society.

Then we saw the poet's which show his position on the history of Persians, and praised the glories of the "Sasan" and their civilization, stressing that it was a civilized culture, valued the value of the civilization of the Persians, and the extent of human dignity, moral values, and material, and was included in the splendor of buildings and the beauty of the images.

The standards of quality - in ancient and modern - eliminate the skill of the Bohtori in employing the praiseworthy poem and its exposition in the exhibition of nature and the manifestations of civilization as a living model that interacts with the vicissitudes of politics and its internal and external trends. Expresses some important aspects of life.

المقدمة :

إنَّ الشِّعر العربي هو ديوان العرب ، والمخبر عن أيامهم وتاريخهم وأنسابهم ، وهو المصوِّر لحالتهم السِّياسية والاقتصادية والفكرية ، ومازال الشِّعر يؤدي دوره في الكشف عن مآثر العرب إلى يومنا هذا.

و"المديح أصل في الشِّعر العربي ، والحكمة قد تتخلله وقد يختم بها حديثه. والفخر والرِّثاء والهجاء كل أولئك فروع منه، أو تبع له أو منسوبات إليه، والنَّسيب تفتتح به القصائد ، والشُّعراء حكمتها والمتغنون بجمال ماضيها وحاضرها"(١).

وقد كان الشِّعر العربي في العصر العباسي ، ومازال موضع اهتمام وعناية الباحثين ؛ وهذا مما حفَّزني إلى الخوض في ثقافة المجتمع العباسي ذلك المجتمع الذي انفتح على العالم آنذاك انفتاحاً كبيراً، فتغيرت فيه الحياة وأصابها التَّرف والنّعيم ، وهذا ما صوره الشُّعراء العباسيون .

ويجمع الدّارسون على أنَّ البحتري (٢) يُمثِّل قمَّة الشِّعر في ذلك العصر ، فكانت تجربته تياراً شعرياً له مميزاته الخاصة، فانقطاعه إلى خلفاء الدّولة العباسية، وما تمَّ له إلى جوار المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان ، من معرفةٍ ، وإلمامٍ بضروب الثَّقافة والفكر، فضلاً عمَّا ساد الحياة العبَّاسية من حوارٍ حضاريّ مع الثَّقافات الأخرى، تعدُّ جميعها عوامل فاعلة في رفد الحركة الأدبيَّة . وتحكي خبرة شاعرٍ ناهز الثَّمانين مطوِّفاً في ظلال القرن الثالث، ومفيداً بكلِّ ما يُغني التَّجربة الفنِّيَّة ، ويمدُّها بأسباب البقاء، وإذ هو كذلك كان يتخيَّر لنفسه موقعاً متقدِّماً ، بين فحول الشعراء.

وليس أدلَّ على ذلك من ديوانه الشِّعري، الذي يحدِّثنا بلغة الفنّ عن الإنسان ، والتَّاريخ والحضارة ، في رؤى تلتقي والحسّ الجمالي المعاصر.

فصار البحتري – وفقاً لمعايير الجودة في القديم – " من كبار المادحين ، بل وأعظمهم جميعاً عند أبي هلال العسكري ، حيث تبدو قصائده المادحة أكثر حيوية ، حينما تزينها السِّياسة ومنعطفاتها ، في الدّاخل والخارج. الأمر الذي ارتفع بشأن المدح عنده ، وجاوز أن يكون وسيلة للارتزاق والتّملُّق، فضلاً عن مّيْزَةٍ أهَّلته لأن يحتل موقعاً مرموقاً بين قصائد المدح في شعرنا العربي"(٣).

وقد حفل ديوان البحتري بوصف مظاهر الحضارة من خلال المِدحة ، فقد " عرف إتقان المصانعة ، فدان بدين الملوك الذين عاشرهم ، وسايرهم"(٤)، فنراه يصوِّر قصور العباسيين، ومواكبهم، ومواسم احتفالاتهم، إضافة إلى ما تسجّله المدحةُ من حوادث السِّياسة والحروب ؛ حيث " لا يخفى ما للقصيدة المادحة من دور إعلامي في التَّعبير عن سياسة الدَّولة ، وقضايا المجتمع ، وهو ما يعطيها أجنحة التَّحليق خارج السِّرب، ويؤهلها لصياغة المُثل العليا للمجتمع" (٥) .

وقد كانت قصيدته في المديح ترتبط بأحداث العصر وظروفه، كما أتى وصفُ الطبيعةِ ضمن فن المِدحة عند البحتري، فكأنّ وصف الطبيعة جزءٌ مهمٌ في بناء مدحته.

كما كان ينقل خلاله مشاهد الحضارة، معتمداً على أدوات التَّصوير، فيضفى على الطَّبيعة تشخيصاً، يمنحها عناصر الحياة والحركة .

وقد أتى البحتري في مدائحه التي وصف فيها قصور العباسيين بمشاهد حضارية ، وذلك في مدح الخلفاء: المعتز، والمعتمد، والمتوكل ، كما وجدناه في بعض قصائده المدحية، يربط بين وصف الطبيعة والمدح.

والملاحظ على قصائده المدحية أنَّ صور الطبيعة عنده تمتلئ بالجمال والحيوية، وأنَّه يُضفى عليها عناصرَ اللونِ، والحركةِ، والتَّشخيص. كما يبدو فيها أثر الحضارة ، التي انعكست على طبيعةِ الحياة العباسية، وانتشار النَّعيم والتّرف والرُّقيّ .

ففي مدح البحتري للمتوكل تفوَّق الشَّاعر في وصف البركة المتوكلية والقصور والرَّبيع، في صور حضاريةٍ مادتُها الرَّوض، والنَّرجس، والآس، والزَّعفران.

ولما كانت مدائحُ البحتري، تتميزُ باقتران المدحِ بأوصاف القصور وحدائِقها، وصورِ الطبيعة، فقد آثرت دراسة موضوع: " الرُّؤية الحضاريَّة في مدائح البحتري"

وتهدف هذه الدِّراسة إلى إعادة قراءة مدائح البحتري قراءة ثقافية، تكشف عن ملامح جديدة، تسكن تجربة الشَّاعر الدّالة على رؤية جماليّة وثقافيّة، تشغل مساحة واضحة في تاريخ الإبداع العربي؛ باعتبار الشّاعر البحتري صاحب بصمة ثقافية، يمكن من خلالها استخلاص الكثير من ملامح الثَّقافة العربيّة، في طورها العباسي، الذي ينتمي إليه الشَّاعر. والذي يعدّ امتداداً لعصور سابقة وإرهاصاً لعصور تالية.

وقد اقتضت طبيعى الدراسة إلى تقسيم البحث إلى عنوانات، وسبب عدم استخدام منهجيّة الفصول أو المباحث : هو أنَّ طبيعة هذا البحث يتناسب معها العنوانات أكثر من الفصول والمباحث؛ وذلك لعدم تناسق المادة من حيث الكمّ، وذلك ما يسبب إرباكاً للبحث . فالعنوان الأول: الأبعاد السياسية والتَّاريخية في الحضارة العباسية ، قد وضحنا فيه قراءتنا الثَّقافية لأهم أحداث الخلافة العباسية؛ من حروب ومشاكل سياسية ووقائع اجتماعية وعسكرية. وقد وردت في ديوان البحتري صور فنّيَّة رائعة لتلك الأحداث الجليلة. وأما العنوان الثاني فهو: الأبعاد الحضارية في الحضارة العباسية ، وقد تطرقنا فيه إلى موقف البحتري من الحضارة الفارسية، والدلالات الثقافية لصورة معركة أنطاكية ، ثم عرضنا خلاله صورة السُّلطة الحاكمة في الدَّولة العباسية، ووقفنا عند القصور وآثار العمران وقفات طويلة ؛ لأنها رسمت مظاهر الحسن والجمال والعمران في ذلك العصر، والذي يعدّ تحولاً كبيراً من الخيام

إلى القصور، وبداخلها الجواري والحور والقيان. فكأنّ هذا الوصف شاهداً على الحضارة العباسية الزَّاهية. وتليها خاتمة بأهم نتائجِ البحثِ، ثم ثبتٌ بأهم مصادرِ البحثِ ومراجعهِ .

العنوان الأول: الأبعاد السِّياسيَّة، والتَّاريخيَّة في الحضارة العباسيَّة :

إنّ مدائح البحتري تصف الحضارة العباسية وصفاً فائقاً، وتصوِّر الوقائع السِّياسية والحربيَّة المهمة تصويراً ماهراً وأميناً، بصورة مؤثِّرة وبكثْرة عجيبة ، يقول الدكتور (البصير) : "نحن نرى ديوانه حافلاً بأحداث الخلافة العباسية في القرن الثالث الهجري ؛ من حروب ومشاكل سياسية في الدَّاخل والخارج، ومن ذلك فتنة بابك الخرمي التي اشتعلت نارها في أوائل هذا القرن ، وكذلك تمرد آل الصفار، وقيام ثورة صاحب الزِّنج في أواسطه ... ويحدِّثك عن خلع خليفة وإبعاده إلى زاوية ملكه بالأمس، وبينما هو يحدِّثك عن هذه الشّؤون الدَّاخلية المضطربة المعقَّدة أشدَّ التَّعقيد، إذ هو يحدِّثك عن المعارك الطَّاحنة، التي تدور رحاها في آسيا الصغرى بين المسلمين والروم "(٦).

ونقف عند تصويره لبطولة محمد بن يوسف الثَّغري في نضاله ضد بابك الخرمي ، وضدّ الرّوم في الثّغور ، مما يدلّ على ما تضمنته مدائحه من أبعاد سياسية .

- ففي أولى قصائد الديوان ، يمدح البحتري محمد بن يوسف الثّغرى بهمزية ، مطلعها :

زَعِمَ الغُرابُ منْبئُ الأنْباءِ أنّ الأحبةَ آذنوا بثَنـــاء (٧)

وبعد أن يتغزل ويبدع في وصف الرّبيع والخمر ، ينتقل لمدح أبي سعيد ، وفى مدحه نراه يتكئ على إسهامه في القضاء على بابك وصلبه، فيقول :

ما انْفكّ سيفكَ غادياً ، أو رائحاً في حصْدِ هاماتٍ ، وسفْكِ دماءِ
حتى كفيتهمُ الذي استكفوكَ من أمرِ العدَى ، ووَفَيْتَ أيّ وفاءِ
ما زلتَ تقْرَعُ بابَ بابكَ بالقنَا ، وتزورهُ في غارةٍ شعواءِ

حتى أخذتَ بنصلِ سيفكَ عنوةً ، منه الذي أعيا على الأمراءِ
أخلَيْتَ مِنهُ البذّ ، وهيَ قرَارُهُ ، وَنَصَبتَهُ علَماً بِسامِراءِ
لمْ يُبقِ فيهِ خَوفُ بأسِكَ مطمَعاً للطيرِ في عودٍ ، ولا إبداءِ
فتَرَاهُ مُطّرِداً على أعوادِهِ ، مِثلَ اطّرادِ كواكبِ الجَوزَاءِ
مُستَشْرِفاً للشمسِ، مُنتصِباً لها ، في أُخرَياتِ الجِذعِ كالحِرباءِ (٨)

"ونحن نلاحظ أنَّ هذا التَّصوير الرَّائع للقضاء على بابك، لم يقمه البحتري على المبالغة، وإنَّما حقَّقه بسرد الوقائع من خلال الفنّ ، فهو حينما يقول: إنّ القضاء على بابك أعيا الخلفاء، لا يجوز على الحقيقة إذ إنّ خروجه استمرَّ في خلافة المأمون والمعتصم حوالي عشرين سنة "(٩).

- وفى قصيدة أخرى، همزية أيضاً يمدحه ويورد تفاصيل المعركة ، يقول في مطلعها :

يا أخا الأزدِ ما حفظتَ الإخاءَ لمحبٍّ وما ذكرتَ الوفاءَ(١٠)

فبعد أن يتغزل، ويحن إلى وطنه الأصلي، ووطن قبيلته طيء في اليمن ، يأخذ في مدح أبى سعيد، ويشيد ببطولته في استرداد أحد الثّغور، من أيدى الروم يقول :

أحْسَنَ اللهُ في ثوابِكَ عن ثَغْـ ـرِ مُضَاعٍ أحْسَنْتَ فيهِ البَلاءَ
كانَ مُسْتَضْعفاً قَعَزَّ، ومَحْرُومـ ـاً فأجْدَى، ومُظْلِماً فأضَاءَ
لَتَوَلَّيْتَهُ فكنْـ ـتَ لأهْلِيـ ـهِ غِنًى مُقْنِعاً وعنهم غَنَاءَ
لمْ تَنَمْ عنْ دُعائِهِمْ حين نَادَوْا والقَنَا قد أسَالَ فيهم قَنَاءَ
إذ تَغَدَّى "العُلُوجُ" منهم غُدُوًّا فَتَعَشَّتْهُمُ يَداكَ عِشَاءَ
لمْ تُسِغْهُمْ بَرُودُ "جَيْحَانَ" حتَّى قَلَسُوا في الرِّماح ذاك الماءَ(١١)

فنرى البحتري يلجأ إلى إيراد تفاصيل الوقائع ، فيكاد القارئ يحس بأنفاس الأحياء، وتوجُّع الجرحى، ويقول:

وكأنَّ النَّفِيرَ حَطَّ عليْـ ـهِم منك نَجْما أو صَخْرةً صمَّاءَ
لمْ يَكُنْ جَمْعُهُم على المَوْج إلاَّ زَبَداً طارَ عن قَناك جفاء

حيـن أبدت إليك خرشنة العلـ ـيا من الثلْجِ هامَةً شَمْطـاءَ
ما نَهاكَ الشِّتاءُ عنها وفي صَـدْ ـرِك نارٌ للحِقْدِ تُنْهي الشّتـاءَ
طالعتْـكَ الأبْناءُ من شُرَفٍ الأبـ ـراجِ زُرْقاً إذْ تَـذْبَـحُ الآبـاءَ(١٢)

فالبحتري يعرف كيف يبرز مواهب ممدوحيه دون تهويل، ويستمد – ما أمكنه – من نفحات التُّراث والدِّين، إنَّه يسمعنا آذان الصلاة، ويزور بنا قبر امرئ القيس ، ويسمعنا قعقعة السلاح ، إذ يقول:

بِتَّها والقرآن يصْدعَ فيـها الهَضْـ ـبَ حتى كادت تـكون "حِـراءَ"
وأقمـتَ الصَّلاةَ في معْشَـرٍ لا يَعْرفونَ الصَّـلاةَ إلاَّ مُكـاءَ
في نواحي "بُرْجَانَ" إذْ أنْكَروا الـ ـتَّكبيرَ حتَّى تَوهَّمُـوهُ غِنـاءَ
حيثُ لم تُورِدِ السُّيوفَ على خِمْـ ـسٍ ، ولم تُصْدِرِ الرِّماحَ ظِـماءَ
يَتعثَّرْنَ في النُّحورِ وفي الأوْ جُهِ سُكْرًا لمّا شَرِبْنَ الدِّمـاءَ
وأزرت الخيول قبر "امرئ القيـ ـس " سراعاً فعدن منه بطـاء
وجَلبْتَ الحِسانَ حُوًّا وحُـورًا آنساتٍ حتى أغَرْتَ النِّـساءَ
عَلِم "الرُّومُ" أنَّ غَزْوكَ ما كـا نَ عِقـاباً لهم ولـكنْ فَنـاءَ
بِسِباءٍ سَقـاهُمُ البيْنَ صِرْفًا ، وبِقتلٍ نَسُوا لدَيْهِ السِّـباءَ
يـومَ فرَّقْتَ من كَتـائبِ آرائـ ـكَ جُنْدًا لا يأخذونَ عَطـاءَ
بيْـنَ ضَرْبٍ يفلِّقْ الهـامَ أنْصا فًا ، وطَعْنٍ يُفرِّجُ الغَمَّـاءَ
وبِوُدِّ العدُوِّ لو تُضْـعِـفُ الجيـ ـشَ عليهم وتَصْـرِفُ الآراءَ [١٣]

فكأنّ البحتري في هذه أبياته السابقة " يودّ أن يبرز ما في نصر أبى سعيد على الرّوم من تمجيد للإسلام والعرب، وكأنّه لا ينسى أنّ ممدوحه يمانيّ من صميم طيء مثله " [١٤].

وهكذا فقد استطاع البحتري أن يُضمِّن الكثير من مدائحه ، كثيراً من وقائع عصره السِّياسية ، والاجتماعية، والعسكرية، فأتى في ديوانه بتصوير فنِّى رائع لتلك الأحداث الجليلة.

وهو في مدحة من مدائحه في المتوكل يوظِّف القصيدة المادحة نحو قضيّة كبرى ، تمسّ المجتمع العربي، وتؤدِّي إلى فرقته جراء الحروب التي تفرضها طباع جاهليَّة ، فيعرض لمشكلة من أعقد المشاكل الاجتماعية العربية، وهى مشكلة الصِّراع بين القبائل ، وإنّ كتب التَّاريخ في التُّراث لحافلة بتفاصيل تلك الوقائع الدَّامية، ولكن البحتري يصورها تصوير الفنان ويراها بمخيلة الشّاعر .

- وفي قصيدة البحتري في مدح الخليفة المتوكل، والإشادة بتحقيقه الصُّلح بين أخوال الشَّاعر من بنى تغلب، ومطلعها:

مُنَى النَّفسِ في أسماءَ لوْ تستطيعُها بها وجدُها مِنْ غادةٍ وولوعُها(١٥)

فبعد أن يتغزل، ينتقل إلى مدح المتوكل، ويصف المأساة المروّعة التي شبَّت نيرانها بين ذوى رحمه من بطون ربيعة، ثم يُنهى القصيدة بإعلاء فضل المتوكل في إخماد تلك النِّيران، التي كادت لا تبقى ولا تذر، لولا تدخله وحسن صنيعه ...

- يقول البحترى :

أسِيتُ لأخْوالي "رَبيعةَ" إذْ عَفَتْ مَصانِعُها منها وأقْوَتْ رُبوعُها
بِكُرهيَ إنْ باتَتْ خلاءً ديارُها ووحشًا مغانِيها وشتَّى جَميعُها
وأمْسَتْ تَساقَي الموْتَ منْ بعدما غَدت شُرُوبًا تَسَاقَي الراح رفْهًا شُروعُها
إذا افْتَرقُوا عنْ وقْعةٍ جَمَعتُهمُ لأخرى دماءٌ ما يُطلُّ نَجِيعُها
تَذمُّ الفتاةُ الرُّودُ شِيمةَ بَعْلها إذا باتَ دونَ الثَّأرِ وهو ضَجِيعُها
حميَّةَ شَغْبٍ جاهليٍّ وعزَّةٍ كُلَيْبيّةٍ أعيا الرِّجالَ خُضوعُها(١٦)

فيذكر البحتري أنَّه محزون القلب، لما أوقعته الحرب في أهله من خراب، ولما صاروا إليه من شقاق، بعدما كانوا فيه من سلام ، وما ذلك إلا لطباع جاهليَّة ترسَّخت فيهم، وجرت منهم مجرى الحياة، وأصبحت تقدِّس الثَّأر، حتى لتطغى تلك النَّزعات القتالية الانتقامية المريرة على ما في المرأة من صفاء ووداعة غريزية ، فتنفر من زوجها إن تقاعس عن الثأر.

ويبلغ البحتري ذروة شامخة عندما يصوِّر تلك القلوب المتنافرة ودّها ، ونيران صراع قبلي يحصد النّفوس المتآلفة ، في مشهد يثير الشّجن ، فتتأبى الأيادي حينما تعلم أنّها تقتل-من نفسها- عزيزاً . حتى إذا حركتها وشائج القربى طفرت دموع الأسى تغسل "قداسة" الثَّأر الزائفة ، يقول:

وفرسانُ هيْجاءٍ تجيشُ صُدورُها ... بأحقادِها حتَّى تَضِيقَ دُرُوعُها
نُقتّل من وترِ أعزَّ نفوسها ... عليها بأيدي ما تكاد تُطيعُها
إذا احْتَربَتْ يوماً فَفاضَتْ دِماؤُها ... تذكّرَتِ القُرْبى ففاضتْ دُمُوعُها
شَواجِرُ أرماحٍ تُقطَّعُ بيْنهُم ... شَواجِرُ أرواحٍ مَلومٍ قَطُوعُها (١٧)

وهنا " يصوِّر الصِّراع الرَّهيب الذي يشتعل بنفوس ذوى الرَّحم ، هؤلاء حينما يتذكرون في غمرة الدِّماء والموت أنَّهم إنَّما يقتلون أنفسهم بأيديهم ، وكأنَّ أيديهم تكاد تتأبَّى عليهم في ارتكاب هذا الشَّرّ المستطير، وكأنّهم يسبحون في بحر من دمائهم ودموعهم معاً "[١٨] ، وحقن هذه الدماء يعطي دلالة مشرقة ومبهجة للنفس، فيقول:

فلوْلا أميرُ المؤْمنين وطَوْلُهُ ... لعادَتْ جُيوبٌ والدِّماءُ رُدُوعُها

كما يعلن وينشر البحتري جهود الأمير التي حالت دون سفك الدماء ، مما منح الصّورة دلالة السِّلم والأمان لهذه الأرواح . ثم يستكمل الصّورة فيصوِّر فضل الخليفة المتوكِّل الذى قبل شفاعة الفتح فوضع حدّاً لهذه المأساة ، وأنقذ تغلب من الفناء، فهدأت نفوسهم، وثابوا إلى رشدهم ، وجاؤوا إلى الخليفة ، مقرِّين بالفضل معتذرين عن طيش عاصيهم الذى أخذ به مطيعهم ، فيقول:

ولاصْطُلِمَتْ جُرْثُومةٌ تَغْلبيةٌ ... بها اسْتُبْقِيَتْ اغْصانُها وفُرُوعُها
رَفعْتَ بِضَبْعَيْ تَغْلِبَ ابْنةِ وائلٍ ... وقد يئِستْ أنْ يَسْتقلَّ صَرِيعُها
فكنتَ - أمينَ الله - مؤْلى حَياتِها ... ومولاكَ "فَتْحٌ" يوْمَذاكَ شَفيعُها
فقد رُكِزَتْ سُمْرُ الرِّماحِ، وأُغْمِدَتْ ... رِقاقُ الظُّبا : مَجفوُّها وصَنِيعُها

فقرَّتْ قُلوبٌ كان جمًّا وَجِيبُـــها ونامتْ عيونٌ كان نَزْرًا هُجُوعُـــها
أتتْكَ وقد ثابَتْ اليْها حُلُومُـــــها وباعَدَها عمَّا كَرِهْتَ نُزُوعُـــــــها(١٩)

والبحتري إذ يشكر المتوكل ويدعو لـه بالبقـاء جزاء هذا الصنيع، فإنّه يبلغ القمة في تصويره "حينما يرسم صورة تلك الأم التّغلبية التي تتمزَّق نفسها هلعاً، مما قد يتخرّم ابنها من الموت المحدق بتلك المعارك، فها هي قد قرّت عينها وهدأت نفساً بعد أن شفى المتوكِّل الصدور مما فيها " (٢٠). فيقول:

ومُشْفِقةٍ تخْشى الحِمامَ على ابْنِها لأوَّلِ هيْجاءٍ تَلاقَى جُمُـــوعُها
رَبطْتَ بِصُلحِ القوْمِ نافِرَ جَأشِـــها فَقرَّتْ حَشاها واطْمأنَّتْ ضُلوعُـها
بَقِيتَ ، فكمْ أبْقَيْتَ بالعفْوِ مُحْسنًا على "تغْلبٍ" حتى اسْتَمرَّ ظَلِيـــعُها (٢١)

وهكذا فقد كـان البحتـري يلجـأ فـي مدائحـه للقـادة والفرسـان إلـى تصوير بطولاتهم ووصف معاركهم، وكذلك كـان فـي مدائحـه لكبـار رجـالات الدولـة فـي شتى المجـالات، فقد كـان يتحفنـا فـي مدائحـه بإبراز صفاتهم، وملكـاتهم البـارعـة المميزة لهم ، ومن ذلك ذكره لمناقب ومواهب أبى صالح بن يزداد الأديب (٢٢) الشَّاعر الذى كـان وزيراً للمستعين وكان حازماً وأميناً فـي ضبط شؤون الدّولـة، فقد مدحه البحتري بدالية مطلعها:

يُفْنِدونَ، وهم أدْنَى إلى الفَنَدِ ويُرْشِدونَ، وما التِّعذالُ منْ رَشَدى (٢٣)

وبعد أن تغزل، قال في مدح أبي صالح :

تَفَرَّجتْ حَلْبَةُ الكُتَّابِ حين جَرَوْا عن سابقٍ بِخِصالِ السَّبْقِ مُنْفَـرِدِ
إنْ يُعْمِلوا الجَوْرَ يَقْصِدْ في تَصرُّفِهِ أو يُسْرِفوا في فُنونِ الأمْر يَقْتَصِدِ
أدَّى الأمانةَ لم تعْجَز كِفايتُهُ عنها ، ولم يَسْتَنِمْ فيها إلى أحَـدِ
إنَّ السِّياسةَ قد آلتْ إلى يَقِظٍ مَوفَّقٍ لِسَبيلِ الحقِّ مُعْتَـــمَـدِ
لم يَرْجُها بأكاذيبِ الظُّنونِ، ولم يَمْتُتْ إلى نيْلِها إذْ متَّ منْ بُعـُدِ
تلك الخِلافةُ قد دارتْ على قُطُبٍ منْ رأيِهِ الثَّبْتِ واسْتَدْرتْ إلى سَنَـدِ
تُهابُ عَدْوتُهُ منْ دون حَوْزَتِـها كما تُهابُ وتُخْشى عَـدْوَةُ الأسَـدِ

يَردُّ أيَّ يَدٍ مُدَّت لتَنْقُـــــصَـها مَجْذُوذَةَ الزَّنْدِ أو مَهْذوذَةَ العَضُدِ (٢٤)

فالبحتري في الأبيات يوضِّح من الصِّفات المثالية للوزير، الحزم والاستقامة والأمانة ، ويذكر لنا التَّاريخ تحققها في أبى صالح، حتى ليغضب الموالي الأتراك المتسلطين آنذاك على موارد الخلافة، من دقة ضبطه لحسابات بيت المال ويهمون بالثورة عليه [٢٥].

- وفى قصيدته في الفتح بن خاقان مستشار المتوكل ونديمه وصديق البحتري، يمدحه أبو عبادة البحتري ضمن مدحه الكثير فيه، ببائية يقول في مطلعها :

بِنا أنْتِ منْ مَجْفُوَّةٍ لم تُعَتَّبِ ومَعْذُورَةٍ في هجْرِها لم تُؤَنَّبِ [٢٦]

وبعد النَّسيب يشرع في المدح فيقول :

غَدَا وهو طَوْدٌ للخلافَةِ ماثــلٌ وحَدُّ حُسامٍ للخلـــيفة مِقْـــضَبِ
نَفَى البَغْيَ، واسْتَدْعَى السَّلامَةَ، وانْتَهى إلى شَرَفِ الفِعْلِ الكَريم المُــهذَّبِ
إذا انْسابَ في تدْبيـرِ أمْرٍ تَـرافَـدَتْ له فِكْرٌ يُنْجِحْنَ في كلِّ مَـطْلَبِ
خَفِيُّ مَدَبِّ الكيــدِ تَثْني أنــاتُــهُ تَسَرُّعَ جَهْلِ الطـائـــشِ المُتَـوثِّـبِ
ويُبْدِي الرِّضا في حالة السُّخْطِ للعِدى وقورٌ متى يَقْـدَحْ بِزَنْديْهِ يُثْقِـبِ [٢٧]

فيبرز فيه موهبة التَّفكير العميق، والمدارة ، والدَّهاء ، وهي صفات لازمة للوزير المتفوِّق، والبحتري يجسد تلك الصفات كما كانت متحققة في الممدوح .

- ونقف عند مدحه للوزير الكاتب محمد بن عبد الملك الزيات ، الذى كان وزيراً للمعتصم، ثم الواثق، ثم المتوكِّل ، وكان ذا شهرة عريضة برسائله الأدبيّة الممتازة .

إذ يقول البحتري في مطلع مدحه له :

بَعْضَ هذا العِتابِ والتَّفْنيدِ لَيْسَ ذَمُّ الوَفاءِ بالمــــحْمودِ! [٢٨]

ثم ينتقل بعد الغزل إلى المدح، ويقول :

سُؤْدَدٌ يُصْطَفى، ونَيْلٌ يُــــرَجَّى، وثَنــاءٌ يَحْيـا، ومـــــالٌ يُـودى
لَتَفَنَّنْتَ في الكتابةِ حتَّـــــى عَطَّلَ النَّاسُ فنَّ "عبد الحميـــدِ"
في نِظامٍ من البَلاغةِ ما شَـ ـكَّ امْرُؤٌ أنَّهُ نِظـــــامُ مَرِيـدِ

ما أُعِيرَتْ منهُ بُطونُ القَراطِيـ ـسِ، وما حُمِّلتْ ظُهورُ البريـدِ
مُسْتمِيل سَمْعَ الطَّرُوبِ المُعنَّى عنْ أغانيِّ "زُرْزُرٍ" و"عَقـيدِ"
حُجَجٌ تُخْرِسُ الألَدَّ بألـــفَا ظٍ فُرَادى كالجَوْهرِ المَعْـدودِ
ومعانٍ لو فصَّلـتْها القَوافِـي هَجَّنَتْ شِعْرَ "جَرْوَلٍ" و"لَبيدِ"
حُـزْنَ مُسْتعْمَلَ الكـلام اختِيـارًا وتَجَنَّبْنَ ظُلْـمةَ التَّعْـقيدِ
ورَكِبْـنَ اللـفْظَ القَريـبَ فأدْرَكْـ ـنَ به غايةَ المرادِ البَـعيدِ
كالعَذَارى غَدوْنَ في الحُلَلِ الصُّفْـ ـرِ إذا رُحْنَ في الخُطُوطِ السُّودِ[٢٩]

فنرى البحتري " قد استقصى كل ما يمكن أن يكون ذا صلة بالنَّثر الفنِّي لفظاً، ومعنى، وموسيقى، وصياغة بديعية ، بل إنَّه يُدخل نثر الزّيات في مقارنات مع الغناء، والشّعر، ويعرض ما ينطوي عليه من حجج باهرة ، ووسائل سريانه وذيوعه" [٣٠].

وهذا يدلّ على سمة ثقافية سادت في أدب عصره وهي توثيق الكلام بحلل البلاغة ومحاسن البيان ، وما ذلك إلا انعكاساً لما ذكرناه آنفاً عما عمّ في الحياة العباسية من مظاهر الرَّغد والتّرف ، الأمر الذي انعكس على النِّتاج الأدبي والمزاج الثّقافي، من تعلُّق بالزّينة اللفظيّة، والحلية المعنويَّة للنّصوص.

وعلى ذلك فإن المدح في شعر البحتري قد أشبع حبه الغريزي للوصف والتَّصوير، مما أضفى على الكثير من نماذجه قيمة كبرى وخلوداً.

ويرى الأستاذ (البصير) "أنّ ما يحققه في القطعة السابقة وأمثالها من الإحاطة بالموضوع، والإفاضة في التّحليل، والبراعة في التَّصـــوير، يجعلها خليقة بالبقاء على توالي الأجيال " [٣١].

- وكذلك فإنّ البحتري يورد دلالات تاريخية تفيد علمه بتاريخ الفرس، وإشادته بأمجاد "آل ساسان" وحضارتهم، ومن ذلك حديثه في سينيته في إيوان كسرى[٣٢] عن آل ساسان وقصورهم . وما يعنينا هنا هو ثقافته التَّاريخية والفارسية ، فقد أحاط الرّجل " بأخبار الأمم الغابرة ، وبخاصة جدوده في اليمن ، وما كان لهم من مجدٍ شامخ ، هذا فضلاً عن أخبار الفرس وملوكهم ، الذين تربطهم بالعرب علاقات متينة "[٣٣].

أما علمه بتاريخ الفرس فدليله حديثه في السّينية عن آل ساسان وقصورهم، وقوله في مدح الحسن بن سهل :

إنَّ للمِهْرَجانِ حقًّا على كـــــلِّ كبيرٍ- من "فارسٍ"- وصَـــــــغيرِ
عِيدُ آبائكَ المُلـــــوكِ ذَوي التَّيـــ جانِ ، أهْلِ النُّهَى ، وأهْلِ الخِـــيـــرِ
منْ "قُبَاذٍ" و" يَزْدَجِرْدَ" و" فَيْرُو زٍ" و"كِسْرَى" وقَبْلَهُمْ " أرْدَشِيرِ "[٣٤]

فهو هنا يشيد بأصول ممدوحه الفارسية، مذكِّراً بسالف مجد الفرس وحضارتهم، ولا عجب في تلك الإشادة وقد ذكر الصِّلة التي تربط الفرس بقوم الشَّاعر اليمانيين في أبيات قصيدته السينية، حين قال:

أيّدوا مُلكنا وشدّوا قـــواه بكُماة تحت السنوَّر حُمـــــس
وأعـــانوا على كتائب " أريا ط" بطعن عالي النحور ودَعْس [٣٥]

فهو " يذكر من وقائع التَّاريخ القديم مساعدة الفرس لقومه اليمانيين في ردّ الأحباش " [٣٦].

العنوان الثاني: الأبعاد الحضاريَّة في الحضارة العباسيّة:

أولاً – موقف البحتري من الحضارة الفارسيَّة:

كان البحتري قد اهتمَّ بمظاهر ساسانية في شعره ، " فديوانه سجل لأسماء الملوك الساسانيين، وكان يحبّ عظمتهم وشرفهم" (٣٧). ومن ملامح منزعه الفارسي أنّه في مقام المفاضلة بين الأتراك والفرس، يُعلي من شأن الفرس ويجعلهم مقصده حين تزاحمت عليه هموم الحياة، وما الهموم إلا ما يراه من الأتراك :

حضَرَتْ رحْلِيَ الهمُومُ فوجَّهْ تُ إلى أبْيَضِ المدَائِنِ عنْسِي

أتَسَلَّى عن الحظوظِ وآسى لمحَلٍّ من آلِ ساسَانَ درْسِ

ذكَّرَتْنِيهُمُ الخطُوبُ التّوَالِي ولقَدْ تذْكِرُ الخطُوبُ وتُنْسِي(٣٨)

وهذا يعني " أنّ النزوع الفارسي للشاعر إنّما كان شكلاً من أشكال التّمرد على واقعه ، واقع سيطرة الأتراك على مقاليد الخلافة ، وردّه نحو العهد السابق ، عهد الحكم العربي" (٣٩).

ونحن نجد في ديوانه دلالات على أنّه كان ذا اطلاع واسع على الحضارة الفارسية وأكاسرتها، ومن ذلك الأبيات التَّالية، التي يذكر فيها أسماء عظماء الفرس في عهد ساسان ، يقول في مدح عبد الله بن دينار:

لَهُمْ بُنيَ "الإيوَانُ" في عَهدِ "هُرمُزٍ" وَأُحْكِمَ طَبعُ الخُسرُوَانيّةِ القُضْبِ

وَدارَتْ "بَنُو سَاسَانَ" طُرّاً عَلَيهِمِ مَدارَ النّجومِ السّائرَاتِ على القُطْبِ(٤٠)

وحين يمدح الحسين بن الحسن بن سهل، يصفه بأنه وارث أردشير وقباذ وأنوشروان :

يَا أبَا القَاسِمِ المُقَسِّمِ في المَجْـ ـدِ ليَوْمِ النّدَى وَيَوْمِ الطّعانِ

قَدْ وَرِثْتَ العَلياءَ عَن أَرْدَشِيرٍ وَقَبَاذٍ وَعَنْ أنُوشـــرْوَانِ (٤١)

وحين يمدح الحسن بن مخلد، يشيد بالفرس ويبدى تحمّسه إليهم، مشيراً إلى مساعدة كسرى أنوشروان لسيف بن ذى يزن :

قَوْمٌ أشَادَ بِعَلْيَاهُمْ، وَوَرّثَهُمْ كسرَى بنُ هُرْمُزَ مَجْداً وَاضِحَ السَّنَنِ

أَيَّـــامَ جَلَّى أنُوشِرْوَانُ جَدُّكَمُ غَيَابَةَ الذُّلِّ عن، سَيــفِ بنِ ذي يَزَنِ

إذْ لا تَزَالُ لَهُ خَيْلٌ مُدافِعَةٌ بالطّعْنِ وَالضّرْبِ من صَنعاءَ أوْ عدَنِ (٤٢)

وكذلك في مدحه للحسن بن سهل، يذكر ملوك ساسان ذاكراً مهرجانهم :

كسرويٌّ عليه منهُ جـــــلالٌ يملأُ البَهو من بَهاءٍ ونُــورِ

يا ابن سهلٍ وأنتَ غَيرُ مُفيق من بناء العلياء أُخرى الدُهور

عيدُ آبائكَ المُلوك ذَوي التي جان أهل النهى وأهل الخــيرِ

من قُباذٍ ويَزْدَجِرْدَ وفَـــيْرو زٍ وكِسْرَى وقبلهُمْ أرْدَشِـــيرِ

وكأنَّ الأيام أوثِر بالحُـــــسْ نِ عليها ذو المِهْرجانَ الكَبير(٤٣)

وكذلك يذكر البحتري صديقه الفارسي وهو أحمد بن الحسين وكان فيما يزعم البحتري – من سراة الفرس :

أخٌ لي منْ سَرَاةِ الفُرْسِ قضّتْ يَداهُ عظْمَ مأرَبَتي وَحاجــي

كَفاني بحْرُهُ العذْبُ، المُصَفّى وُرُودَ شرَائِعِ الطَّرقِ الأُجَاجِ (٤٤)

ويبلغ شغف البحتري بالحضارة الفارسية نهايته، حين يمدح صديقه طالباً منه أن يدع التّهشم، ويعيش عيشة الفرس :

ساعِدْ، وإنْ كُنتَ امْرَأً من "هاشمٍ"، ودَعِ التَّهشُّمَ يوْمَنا وتَفَرَّسِ (٤٥)

ونراه تارة يشيد بأصول ممدوحيه الفارسية في قوله يمدح أبا مسلم الكجّي :

شَرَفٌ بين "مُسْلِمٍ"- مُسْلِمِ المَجْـ ـــــدِ" - و " عبدِ العزيزِ" و " الصّبّاحِ(٤٦)

وهؤلاء الثلاثة من أجداد أبي مسلم.

والبحتري إذ يشير إلى علوّ شأن أجداد ممدوحيه من الأكاسرة " لا يجد حرجاً حين يعدّهم من رهطه، وأنَّهم أحقّ بالصّون من عرضه ودينه " (٤٧) . كما في قوله يمدح أبا ابن حمدون النّديم:

تلْكَ الأعَــاجِمُ تَنْمِيكُمْ أوَائِلُها إلى الذَّوائــبِ منْها والعَــرَانِيــنِ

فَخْرُ الدّهَاقِينِ مأثورٌ وفَخْرَكمُ من قبــلُ دَهْقــنَ آبــاءَ الدَّهاقِيــنِ

إنّي أُعَـدُّكُمُ رَهْطي ، وأجْعَلُكُمْ أحقُّ بالصّونِ من عِرْضِي ومنْ دِيني(٤٨).

إنَّ إعجاب البحتري بالحضارة الفارسية له دلائل عديدة في شعره ، وقد أرجع الدكتور (شوقي ضيف) إعجابه هذا بالأمجاد الفارسية إلى ضعفٍ في عصبيته القبلية قائلاً : " لقد كان إحساسه بعروبته ضعيفاً، كأنّما لم يكن يستشعر شيئاً من الإحساس العميق بالأمجاد العربية في مقابل الأمجاد الفارسية " [٤٩].

بينما يرى الدكتور (نديم مرعشلي) أنّ البحتري كان عربي الهوى غير أنّه " عندما شعر في بغداد بسطوة الموالي قدّمهم على العرب" [٥٠].

ولم يكن هذا رأي ضيف فقط، بل لقد شكك غيره في عمق انتماء البحتري لعروبته ونسبه إلى الشعوبيّة[٥١]-وهي تعبِّر عن تعصُّب بعض المسلمين لأعراقهم وقومياتهم الأصلية كفارس والرّوم – والذي أراه خلاف ذلك. ففي الواقع لم يكن جزءًا من الشعوبية بأي حال من الأحوال ، فهو ذو نزعة عربية صريحة ، "فهواه يميل مع القادة العرب ، والطائيين خاصة "[٥٢] ، وهذا ما رأيناه في قصيدته في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف الثغري

وانتصاره على الروّم ، وما كان فيها من تمجيد للإسلام وللعرب [٥٣].

ولذا فإنّني أرجع إعجابه بتلك الحضارة الفارسية ربما لأنّه كان ذا ثقافة متحضرة، ولذلك كان يقدِّر قيمة حضارة الفرس، وما حوته من شرف إنساني، وقيم أخلاقية، ومادية، وما كانت تضمه من روعة الأبنية وجمال التَّصاوير .

- كما أنّ المظاهر العديدة من الثَّقافة الفارسية كانت قد أخذت طريقها إلى الحياة اليومية والثَّقافية في العصر العباسي ، ومنها أخبار الأكاسرة والأعياد الفارسية المختلفة والآداب الملكية ، فشاع " التَّعريب" [٥٤]، وهو ما أدى إلى كثرة استخدام ألفاظ معرّبة ، مثل : كسرى وأردشير وأنوشروان والدرفس وإيوان المدائن وقباذ والشاه والشاهانشاه ... في الشِّعر والأدب ، مما يدلّ على اطِّلاع الشّعراء على الحضارة الفارسية.

وقد ضمَّن البحتري ثقافته في معرفة واستخدام هذه الكلمات المعربة ذات الأصل الفارسي في مدائحه، كغيره من الشعراء العباسيين. ومن مظاهر ذلك كلمة (الزّاج) ويظهر ذلك في قوله عند مدح إسحق بن كُنْدَاج:

وجوهُ حسَّادك مسودَّةٌ أمْ صبِغَتْ بعدي بالزّاجِ[٥٥]

فهو يضفي على حسّاد الممدوح صفة السّواد ، ويصفها كأنها صبغت (بالزّاج) ، وهي كلمة فارسية معرّبة ، وهو من أخلاط الحبر ويوحي باللون الأسود [٥٦]، واستخدامه لهذه الكلمة يدلّ على التّأثّر بالثقافة الفارسية واستعمالها في العربية . كما استخدم كلمة (ديباج) التي تعني الثياب الملونة في مدحه أيضاً، يقول:

فصاغَ ما صاغَ من تِبْرٍ ومنْ وَرِق وحاكَ ما حاكَ منْ وَشْيٍ وديباجِ[٥٧]

وكذلك وردت كلمة (الجُلّنار) من ذلك في مدحه لعبد الله بن الحسين بن سعد ، يقول:

والخدودِ الحسانِ يَبْهَى عَليها جُلّنَارُ الرَّبيعِ طَلْقاً وَوَرْدُهْ [٥٨]

والحقّ أنّ استخدام الألفاظ المعرّبة لا يخرج بالبحتري عن عروبته وانتمائه ولا يضعف منهما ، فالقرآن الكريم ذاته جاء بألفاظ مُجمع على أنّها مُعرَّبة، كاشتماله على لفظ (المشكاة) وهي لفظة هندية، ومعناها : الكوة، وعلى لفظ (القسطاس) وهي رومية ، ومعناها :الميزان ، وغير ذلك من الكلمات، ولا يعدو ذلك أنْ يكون من باب التأثير والتأثُّر الوارد والحادث بين لغة وأُخرى ، وهذا يدلّ على أنّ ظاهرة التّعريب أمراً ثابتاً ، وضرورة من ضروريات الحياة نفسها.

- وكانت أخبار " أردشير" مؤسس الدَّولة الساسانية ، وكسرى " أنوشروان" ، وكسرى " إبرويز" قد لفتت أنظار أدباء العرب ومؤرخيهم، فأكثر ما روى عن أكاسرة ساسان، يرجع إليهم ، وذلك لجهودهم المثمرة في ازدهار الحضارة الفارسية في الدَّولة الساسانية ، مما يدلّ أنّ " عصر البحتري كان عربي الملك شكلاً، فارسيّ الجوهر" [٥٩]، وهو كما قال الجاحظ : " دولة بنى العباس أعجمية خراسانية " [٦٠]. فكانت غلبة الطابع الفارسي على الواقع حقيقة في ذلك العصر .

ونخلص من ذلك كله إلى أنَّ الطَّابع الفارسي كان غالباً على بيئة البحتري ، مما سمح بانتقال الأثر الفارسي إلى شعره، وهو أثر مصدره الواقع الحىّ لا الأدب الفارسي ، وقد كان لذلك صداه في تجلِّيات الحضارة الفارسية في شعر الشّاعر.

ولقد برزت ملامح الحضارة الجديدة المتأثرة بالفرس واضحة في شعر البحتري، ومن ذلك :

أ- وصف المعركة البحرية بين العرب والروم، تلك المعركة التي انتصر فيها العرب بقيادة أمير البحر ابن دينار (وهو من أصل فارسي) على الروم . يقول الشاعر مخاطباً ابن دينار :

وحَوْلكَ ركّابونَ للهَوْلِ عاقَـــروا كُوُوس الرّدى من دارعينَ وحُسّرِ

يَسُوقونَ أسطولاً كأنَ سفيـــنَهُ سَحائبُ صيْفٍ من جَهامٍ ومُمْطِرِ

كأنَّ ضَجِيجَ البحْرِ بين رِماحِهِمْ إذا اخْتلَفتْ تَرْجيعُ عَوْدٍ مُجَرجِرِ

تُقارِبُ من زَحْفَيهِمْ فكأنَّـــما تُؤَلِّفُ من أعناقِ وحْشٍ مُنفِّــرِ

فما رِمْتَ حتَّى أجْلَتِ الحرْبُ عن طُلىً مقطّعةٍ فيهــم وهَـــامٍ مُطَّيرِ[٦١]

ب- وصف الحروب مع بابك الخَرْمي ، الذى ورث الملك عن جاويدان ملك جبال البذ ومن كان بها من الخرّمية [٦٢]، فلما قويت شوكة عبثه وفساده تصدّى له المأمون.

يقول البحتري يمدح أبا سعيد الثغري الذى قاد الجيوش لمحاربة بابك :

مازِلْتَ تقْرعُ بابَ "بابَكَ" بالقَنا وتَزُورُهُ في غارةٍ شَعْـــواءِ

حتَّى أخَذْتَ بِنصْلِ سيْفكَ عَــنْوةً منْهُ الذي أعْيَا على الخُلفاءِ

أخْلَيْتَ منه " البَذَّ " وهي قَرَارُهُ ونَصَبْتَهُ علَماً بـ "سامَرَّاءِ " [٦٣]

ج – وصف الطبيعة : أولع الفرس "بوصف الفواكه والزّهور وغيرهما مما تخرج الأرض "[٦٤]، ويبدو أثر ذلك واضحاً أيضاً في شعر البحتري ، ولا سيما في وصف الرَّبيع، إذ يقول من قصيدة في مدح الهيثم بن عثمان الغنوي :

أتَاكَ الرّبيعُ الطّلقُ يَختالُ ضَاحِكاً ... منَ الحُسنِ ، حتّى كادَ أنْ يَتَكَلّمَا
وَقَد نَبّهَ النّيْرُوزُ في غَسق الدّجَى ... أوائِلَ وَرْدٍ كُنّ بالأمْسِ نُوَّمَا
يُفَتّقُهَا بَرْدُ النّدَى، فكَأنّهُ ... يَبُثُّ حَديثاً كانَ قَبلُ مُكَتَّمَا
فَمِنْ شَجَرٍ رَدّ الرّبيعُ لِبَاسَهُ ... عَلَيْهِ، كَمَا نَشَّرْتَ وَشْياً مُنَمْنَما
أحَلَّ، فأبْدَى لِلْعُيونِ بَشَاشَةً ... وَكَانَ قَذًى لِلْعَينِ، إذْ كانَ مُحْرِما
وَرَقّ نَسيمُ الرّيحِ، حتّى حَسِبْتُهُ ... يَجيءُ بأنْفَاسِ الأحِبّةِ، نُعَّمَا
فما يَحْبسُ الرَّاحَ التِّي أنْت خِلُّها ... وما يمْنعُ الأوْتارَ أنْ تَترنّما!؟
وَمَا زِلْتَ شمساً للنّدَامى إذا انتَشُوا ... وَرَاحُوا بُدوراً يَستَحِثّونَ أنْجُمَا
تَكَرّمتَ من قَبلِ الكؤوسِ عَلَيهِم، ... فَما اسطَعنَ أنْ يُ يُحدِثْنَ فيكَ تَكَرُّمَا [٦٥]

فصوَّر الطبيعة والنّيروز والوشي ومجالس الغناء والخمر كلها تحمل تأثيراً حضارياً فارسياً واضحاً .

د- وصف مظاهر العمران : للبحتري قدرة بارعة فيه، وذلك، " بما أتيح له من دقَّة في التَّصوير والتَّعبير، فلم يكد يترك قصراً بناه المتوكل دون أن يصفه موجزاً أو مسهباً " [٦٦].

وتستوقفنا الأسماء الفارسية لبعض القصور، التي ذكرها البحتري في شعره، مما يدل على جوّ حضاري فارسي واضح ، يقول :

كمْ ليْلةٍ ذاتِ أجْرَاسٍ و أرْوِقَةٍ ... كالليّمِّ يقذفُ أمْوَاجاً بأمْواجِ

"فالزَّوُّ" و" الجَوْسَقُ " الميْمونُ قابَلَهُ ... غَنْجُ " الصَّبيحِ " الذى يُدْعى بِصَنَّاجِ[٦٧]

ويقول في قصر السّاج :

وكأنَّ " قَصْرَ السَّاجِ " خُلَّةُ عاشِقٍ ... بَرَزتْ لوَامِقِها بوجْهٍ مونِقِ [٦٨]

ويقول في قصر شبداز :

جَاوَرَ الجَعْفرىَّ وانْحازَ شِبْدَا زُ إليهِ كالرَّاغبِ المُعْـــــــــتَامِ [٦٩]

هـ - رثاء الممالك السَّابقة : " البحتري تقدّم على غيره من الشُّعراء كافة في العناية بأمارات عظمة الممالك الزَّائلة، مشيداً بأصحابها وما خلّفوه من جهود تشي برفعة شأنهم " [٧٠] ، وهذا إنَّما يدلّ على موقف إنساني حضاري من الأمم الأخرى .

ومن أهم قصائد البحتري في ذلك سينيته المشهورة في إيوان كسرى التي نظمها بعد مقتل المتوكِّل بثلاث وعشرين سنة ، "ومن أهم البواعث على نظمها حُزن الشَّاعر لرؤية المُلك العربي الفارسي يدول أمام سيطرة الأتراك ، ومعاناته من هذا التَّسلط ، فقد تطاول ابن طولون التُّركي على ممتلكاته" [٧١]. وهكذا فقد " كانت قصيدة إيوان كسرى تجسيداً حيّاً لنزعة الشّاعر الفارسية" [٧٢].

ومما جاء فيها قوله :

حَضَرَتْ رَحْلِيَ الهُمومُ فوجَّهـ ـتُ إلى " أبْيَضِ المَدائنِ" عَنْسِي

أتَسَلَّى عن الحُظُوظِ ، وآسَى لِمَحلٍّ من " آل سَاسَانَ " دَرْسِ

أذْكَرَتْنِيهُمُ الخُطوبُ التَّوالـــي ؛ ولقدْ تُذْكِرُ الخُطوبُ وتُنْسِـــي[٧٣]

لقد وقف الشَّاعر خاشعاً بين يدى الإيوان، يبثه أسى نفسه واضطراب روحه، برائعته السّينية، ويسكب من روحه الحائرة ومشاعره المرهفة الدَّامية على صخور الإيوان وأحجاره، ويرى فيها صورة لنفسه فيصفها، وصفاً معجزاً، ينطقها ويفجِّر الحياة فيها، ث يلتفت لأبطال معركة أنطاكية من الفرس والروم، هؤلاء الذين أبدعتهم على جدران الإيوان ريشة الصِّراع بين الأبطال، ويصفهم وصفاً خالداً، وتظل كلمة الفنّ الإنساني العميق باقية على مرّ الزمن .

و- دلالات صورة معركة أنطاكية الثَّقافية : لقد خلَّد البحتري القصر وإيوانه، والمعركة وأبطالها، في كلماته، إذ تنتشر صور معركة أنطاكية على جدران القصر.

وتعدّ وقفة البحتري في سينيته عند لوحة المعركة مبدياً إعجابه الشديد، واستيعابه لما لها من دلالات عديدة حضارية وتاريخية، شاهداً على عدالته الإنسانية تجاه الحضارات الأخرى ، فهو الشّاعر العربي الأصيل الذى يتخطَّى حدود الشّعوبية، ويعلّق إعجابه بالإبداع الفنّي أيّاً كانت هويته الجنسية والعرقية. وفى ذلك يقول :

وأرَانِي منْ بَعْدُ أكْلَفُ بالأشْـ ـرَافِ طُرًّا منْ كلِّ سِنْخٍ وأُسِّ(٧٤)

إنّ هذا البيت وحده ليعكس ثقافة التَّسامح وتقبُّل الآخر، التي تعتبر من أهم ملامح حضارة الإسلام، حيث كان أكثر علماؤها في مختلف العلوم من العجم.

وقد كانت الرّسوم والنّقوش والصّور من المظاهر العمرانية الفارسية، وقد جسَّدت قصيدة البحتري اللوحة التي تسجِّل معركة أنطاكية وكأنَّها حقيقة واقعة، لا مجرد ألوان وخطوط منقوشة على الجدران .

وقد لجأ البحتري قبل وصف لوحة المعركة إلى إيراد وصف لعظمة آل ساسان، وحياتهم السَّعيدة العجيبة في الجرماز، ووصف ملكهم الواسع، الذى كان يمتد من القوقاز إلى مدن أخلاط ومكس، في بلاد الروم، وعظمة البناء، الذى لا يمكن قياسه بأطلال سعدى، ولكنّ يد الدهر قد خربته ، ورغم هذا فهو ينيبك عن عجائب الفرس، مما يدلّ على تاريخ آل ساسان وعظمتهم ، يقول :

أتَسلّى عن الحُظوظِ ، وآسَى لمحلٍّ من آل سَاسَانَ دَرْسِ
وهو يُنيبكَ عَن عَجائبِ قومٍ لا يُشابُ البيانُ فيهم بِلَبْسِ(٧٥)

ثم يأتي بوصف اللوحة التي تمثل معركة أنطاكية بين الرّوم والفرس، وهى معركة وقعت سنة ٥٤٠م بين كسرى أنوشروان وقيصر ملك أنطاكية ، حيث حاصرها الأول وحارب أهلها، فنقل لنا صورة متحرِّكة اشتركت فيها الحواس في وصف اللوحة المرسومة على جدران إيوان كسرى إذ يقول :

وَإذا ما رَأَيتَ صورَةَ أَنـــــــطا كِيَّةَ اِرتَعتَ بَينَ رومٍ وَفُـــــرْسِ

وَالمَنايا مَواثِلٌ وَأَنـــــــــوشِر وانَ يُزجى الصُفوفَ تَحتَ الدِرَفسِ
في اخضِرارٍ مِنَ اللِباسِ عَلى أَصـ ـفَرَ يَختالُ في صَبيغَـــــةِ وَرسِ
وَعِراكُ الرِجالِ بَيــنَ يَدَيــــــهِ في خُفوتٍ مِنهُم وَإِغماضِ جَرسِ
مِن مُشيحٍ يَهوى بِعامِلِ رُمـــــحٍ وَمُليحٍ مِنَ السِنانِ بِتُـــــــرسِ
تَصِفُ العَينُ أَنَّهُم جِدُّ أَحـــــيا ءَ لَهُم بَينَهُم إِشــارَةُ خُـــــرسِ
يَغتَلي فيهِم ارتِابي حَتّـــــــى تَتَقَرّاهُمُ يَـدايَ بِلَمــــــــــسِ(٧٦)

فقد رسم البحتري في هذا الجزء من القصيدة صورة عامة للمعركة، " كما تمثّلها الرّسوم على الجدران، وقد تفنَّن فيها ما شاء، فنحن نرى الحركة في " المنايا مواثل، يزجي الصفوف، يختال، عراك الرجال، مُشيح، يهوي، مُليح بترس، جدّ أحياء " ، كما نسمع الصوت في " خفوت، جرس"، وترى اللون في "اخضرار على أصفر، صبيغة ورس ".

كما أتت الصور البيانية الجزئية مثل " ارتعت " كناية عن قوة التّعبير في الرّسم ، " والمنايا مواثل " استعارة مكنية، حيث توحى بكثرة القتلى وشدّة المعركة .

والتّصوير الكلّي يعتمد على النَّظرة الشاملة للوحة ورسم أجزائها، بحيث تتكامل في صورة واحدة وتبدو خطوطها البارزة في اللون، والصوت، والحركة " (٧٧).

- إنّ المتأمل في لوحة البحتري التي تمثلها معركة أنطاكية، التي انتصر فيها الفرس على الرّوم " يبدو مذهولاً لإتقان المبدع، ونراه يجسّد حالة الحياة المتفجّرة في اللوحة، فكأنَّها حقيقة واقعة، لا مجرد ألوان وخطوط، ومن خلال المشاهدة، وإمعان النَّظر بدقَّة وصدق، يصف ما تلقاه من اللوحة ، وصفاً رائعاً دقيقاً يدلّ على نزعته الحضارية والإنسانية، وهكذا تبقي هذه الأبيات من السِّينية نماذج مميَّزة في الشِّعر العربي ، من حيث وصف اللوحة أو الصورة ، و مشاركة الشَّاعر وجدانياً لتفاصيلها " (٧٨).

إنّ هذه الصورة لتكشف مدى سيطرة هذه اللوحة على وجدان الشّاعر، فقد مزج عناصر عدّة فيها حتى "غدت صورة حسّيَّة حركيّة تبعث الخوف والرّهبة في نفس الرَّائي"(٧٩)، ذلك أنّ رؤية الإنسان لهذه اللوحة يبعث في ذهنه قضيّة الصراع الدّائم بين الرّوم والفرس، " ثم تعكس الصّورة مشهد القتال في

المعركة يديرها كسرى في تنظيم صفوف جيشه وتوجيهها، وهو يحمل راية قومه التي تدلّ على مجد الدَّولة الفارسية وعظمتها، ثم تختلط الصّورة الحركية بالألوان عندما يشير إلى اللباس العسكري الذي ارتداه كسرى في ألوانه الموزعة بين الخضرة والصفرة، إذ يعرف بها القائد وسط جيشه، وبذلك فإنّ استخدام الألوان قرّب الصّورة إلى ذهن المتلقِّي حتى جعلها حسّيّة فكأنّها مشهد حقيقي ينظر إليه ويدرك ألوانه" [٨٠].

كما يركِّز الشّاعر هنا في تفصيله للصُّورة على قائدهم أنوشروان والدِّرَفْس (العلم المقدس) و" وبالطبع فإنّ للتَّركيز على هذا العلم دلالة تتجاوب مع نفسيّة الشّاعر الذى يستجلي عظمة الفرس بالذَّات "[٨١]. وهذا للنَّقل الوجداني لما يراه الشَّاعر فعبَّر عن إحساسه العميق ومشاركته في الحدث ، و" الشّاعر لا يبغي أن يصف لنا احتدام المعركة بقدر ما أراد أن يؤكّد على بطولة الفرس، وبالتالي عظمة هذا الإيوان ومن بناه، بل عظمة بنى ساسان الذي يري فيهم الشّاعر وفى مصيرهم مصدر عزاءٍ له"[٨٢].

- ثم يورد البحتري وصف الإيوان وعظمته، وتصوّر الحياة الغابرة في ظلاله، وإعجابه به . وتفيد هذه الأبيات أنَّ البحتري قد اتَّصل بحضارة الفرس اتِّصالاً روحياً، وأنَّه كان من أمنياته الاجتماع بكسرى إبرويز، والتعاطي مع البلهبذ [٨٣]، يقول :

قَد سَقاني وَلَم يُصَــرِّد أَبو الغَو ثِ عَلى العَسكَرَينِ شَربَةَ خُلسِ
مِن مُدامٍ تَظُنُّهــا وَهيَ نَجــمٌ ضَوَّأَ اللَيلَ أَو مُجاجَةُ شَمــسِ
وَتَراها إِذا أَجَــدَّت سُــرورًا وَارتِياحًا لِلشارِبِ المُتَحَسّــي
أُفرِغَت في الزُجاجِ مِن كُلِّ قَلبٍ فَهيَ مَحبوبَــةٌ إِلى كُلِّ نَفــسِ
وَتَوَهَّمتُ أَنَّ كِسرى أَبَــرويـ ـزَ مُعاطِيَّ وَالبَلَهبَذُ أُنســي
حُلُمٌ مُطبِقٌ عَلى الشَكِّ عَينــي أَم أَمانٍ غَيَّرنَ ظَنّي وَحَدســي[٨٤]

وتعبِّر هذه الأبيات عن سيطرة التّوهم على خيال الشّاعر، كما يسيطر عليه الحسّ الفنيّ فتمتد أصابعه إلى اللوحة تتحسس خطوطها باللّمس، وتحاول إزالة الالتباس الذي تشبّث بخياله ، ويرى البحتري نفسه جالساً عند كسرى يتساقيان الخمر، والبلهبذ

يغني لهما، فلم يعد يعرف أهو في حلم ؟ أم الأماني المكبوتة حملته على التوهّم؟.

- ويستغرب الشّاعر الإيوان، الذى ذهب فيه بخياله إلى عهد كسرى، ثم يتساءل أهو من صنع الإنس للجن!!! أم من صنع الجن للإنس !!! يقول :

وَكَأَنَّ الإيوانَ مِن عَجَبِ الصَنـ ـعَةِ جَوبٌ في جَنبِ أَرعَنَ جِلسِ
يُتَظَنّى مِنَ الكَآبَةِ إِذ يَبـ ـدو لِعَينَي مُصَبِّحٍ أَو مُمَسّـي
مُزعَجًا بِالفِراقِ عَن أُنسِ إِلفٍ عَزَّ أَو مُرهَقًا بِتَطليقِ عِـرسِ
عَكَسَت حَظَّهُ اللَيالي وَباتَ الـ ـمُشتَري فيهِ وَهوَ كَوكَبُ نَحسِ
فَهوَ يُبدي تَجَلُّدًا وَعَلَيـهِ كَلكَلٌ مِن كَلاكِلِ الدَهرِ مُرسـي
لَم يَعِبهُ أَن بُزَّ مِن بُسُطِ الديـ ـباجِ وَاستَلَّ مِن سُتورِ المَـقسِ
مُشمَخِرٌّ تَعلو لَهُ شُرُفـاتٌ رُفِعَت في رُؤوسِ رَضوى وَقُدسِ
لابِساتٌ مِنَ البَياضِ فَما تُبـ ـصِرُ مِنها إِلّا غَلائِلَ بُـرسِ
لَيسَ يُدرى أَصُنعُ إِنسٍ لِجِنٍّ سَكَنوهُ أَم صُنعُ جِنٍّ لِإِنـسِ[٨٥]

ثم يتجلّى موقف الشَّاعر من تلك الآثار الفارسية، وذكره فضل حضارة الفرس، وأيادي كسرى على العرب إلى آخر القصيدة .

وفي المقطع التالي يظهر البحتري ثقافته الواسعة، ومعرفته بحضارة الفرس، وعلمه بوقائعهم التَّاريخية، فيشرح مراتب القوم، وحضور الوفود المختلفة والقيان، وأخيراً تقدمهم الكبير في الحضارة ، حيث أنّ الأقوام الأخرى لا يمكنهم أن يلحقوا بهم مهما جدّوا في السَّعي ، وإنّ هذا التَّقدم الحضاري هو أمر محبوب إلى النّفوس، ولابد لكل إنسان شريف أن يحب الشَّرف والتَّقدم، مهما كان مصدرهما إذ يقول :

غَيرَ أَنّي أشـهَدُ أَن لَـم يَكُ بانيهِ في المُلوكِ بِنُكـسِ
فَكَأَنّي أَرى المَراتِبَ وَالقَـو مَ إِذا ما بَلَغتُ آخِرَ حِسّـي
وَكَأَنَّ الوُفودَ ضاحينَ حَسرى مِن وُقوفٍ خَلفَ الزِحامِ وَخنـسِ
وَكَأَنَّ القِيانَ وَسطَ المَقاصيـ ـرِ يُرَجِّعنَ بَينَ حُوٍ وَلُعـسِ
وَكَأَنَّ اللِقاءَ أَوَّلَ مِـن أَمـ ـسٍ وَوَشكَ الفِراقِ أَوَّلَ أَمـسِ

وَكَأَنَّ الَّـــذي يُريدُ اتِّباعَـــــا طامِعٌ في لُحوقِهِـم صُبحَ خَمـسِ
عُمِّرَت لِلسُرورِ دَهـــرًا فَصارَت لِلتَعَزّي رِباعُهُـم وَالتَأَسّـــــي
فَلَها أَن أُعينَـــــــــها بِدُموعٍ موقَفاتٍ عَلى الصَبـــابَةِ حُبـــسِ
ذاكَ عِندي وَلَيسَـــت الدارُ داري بِاِقتِرابٍ مِنها وَلا الجِنسُ جِنسي
غَيرَ نُعمى لِأَهلِـــــها عِندَ أَهلي غَرَسوا مِن زَكائِها خَيرَ غَـرسِ
أَيَّدوا مُلكَنا وَشَدّوا قُـــــــواهُ بِكُماةٍ تَحتَ السَنَّورِ حُمـــــسِ
وَأَعانوا عَلى كَتـــــائِبِ أَريا طَ بِطَعْنٍ عَلى النُحورِ وَدَعْـسِ
وَأَراني مِن بَعْدُ أَكلَفُ بِالأَشْـــــ ـرافِ طُرًّا مِن كُلِّ سِـنْخٍ وَأُسِّ(٨٦)

وعموماً فإنّ الإشارات الفارسية واضحة خلال الأبيات ، إضافة إلى موقفه الشّعوري الإيجابي من الحضارة الفارسية ، وإنّ عودة إلى ما ذكرناه تجعلنا نستخلص الدّرس الحضاري الذي كان العرب والفرس مثاله الحيّ في العصر العباسي ، وكان البحتري أحد الفرسان الذين جسَّدوه في شعرهم، فرسم صورة المجتمع الذي لا ينسى أفضال النّاس عليه.

ثانيا – صورة السلطة الحاكمة في الدولة العباسيّة :

لقد برع البحتري في تسجيل صور للمجتمع العباسي المتماسك ، الذي ظهرت فيه قيم الدّين الإسلامي من خلال مدحه للخلفاء والوزراء ، والتي اعتمد فيها على الصّور والألفاظ المستمدة من الموروث الإسلامي.

فعلى سبيل المثال يصوّر البحتري الخليفة المتوكل " فيصبغ عليه الصفات الدِّينية والإسلامية، فيبدو عميقاً عارفاً بتعاليم القرآن والدِّين ، ويرسم الصّورة المثلى للحاكم التي ينبغي أن يكون عليها، ويسير على هديه المجتمع ، فهو يختزن صورة الخلافة الإسلامية الرّاشدة "[٨٧].

فيقدم صورة للخليفة المتوكل ليس كإنسان عادل ، متمسك بالشريعة فحسب، بل عابد يسير في الناس ، سيرة أسلافه ، تلك السِّيرة المثالية التي رسمها المسلمون للخليفة ، يقول :

أحْيَا الخَليفةُ "جعفرٌ" بفِعالِهِ أفْعالَ أبَاءٍ لهُ وجُدودِ
تَتَكشَّفُ الأيَّامُ من أخْلاقِهِ عنْ هَدْيِ "مَهْديٍّ" ورُشْدِ "رشيدِ"
حاطَ الرّعيةَ حين نَاطَ أمُورها بثَلاثةٍ بَكَروا وُلاَةَ عُهُودِ
قُدَّامَهُمْ نورُ النَّبيِّ وخَلْفَهُمْ هدْىُ الإمَامِ القائِمِ المحْمودِ
نَعْتَدُّ عزّكَ عزّ دينِ "محمدٍ" ونَرَى بَقاءَكَ منْ بَقاءِ الجُودِ[٨٨]

ولقد رسم البحتري في الأبيات السابقة صورة رائعة للسّلطة الحاكمة في الدّولة العباسية ، بأنَّها أقامت العدل، وأقامت الشَّريعة الإسلامية ودافعت عنها، وسارت بها في النّاس سيراً حسناً، وبسطت الأمن والاستقرار في المجتمع، والقائم على أمر المجتمع كان عادلاً بين الرّعية، ساهراً على راحتها. وبذلك فهو يقدم صورة للطبقة العليا في المجتمع من خلفاء ووزراء.

ثالثاً – لوحات وصف القصور في شعر البحتري :

لا شكّ أنّ وقفات البحتري عند القصور كانت وقفات طويلة ، فتألَّق في وصفها ، وتصوير مظاهرها ، حيث الحدائق والرّياض التي تشقُّها الأنهار ، وقد وصف البحتري الجعفري ، والمليح ، والفرد

، وهي قصور المتوكّل التي شعر معها كأنَّه يصف أماكن لهوه ، وصبواته. بخلاف وصفه لقصور المعتز فإنَّك لا تحسُّ فيها هذا الإحساس [٨٩].

ويسعى البحتري في مدائحه لإرضاء المتوكِّل ، واحتلال موقع متميِّز في البلاط ، فيكثر من تصويره قصوره ، كاشفاً عن معالم عظمته ، ومن ذلك ما جاء في وصفه " الجعفري" بالقصيدة التي مطلعها :

إنّ الظِّباءَ غَدّاةَ سَفْحِ مُحَجِّرِ هَيَّجنَ حرَّ جَوىً وفرْطَ تَذَكُّرِ [٩٠]

منتقلاً إلى وصف القصر:

قدْ تَمَّ حُسْنُ "الجَعْفَرِي" ولمْ يَكُنْ لِيَتِمَّ إلاّ بالخَليفةِ "جَعْفَرِ"

مَلِكٌ تَبَّوأ خيْرَ دارِ إقَامةٍ في خيْرِ مَبْدًى للأنَامِ ومَحْضَرِ

في رأسِ مُشْرِفَةٍ حَصَاها لُؤلُؤٌ، وتُرابُها مِسْكٌ يُشابُ بِعَنْبرِ

مُخْضَرةٌ ، والغيْثُ ليْسَ بِساكِبٍ ، ومُضِيئةٌ، والليلُ ليْسَ بِمُقْمِرِ[٩١]

لقد رشف البحترى أفاويق السَّعادة ، ونهل من الرَّفاهية والنَّعيم في ظلال المتوكل، وأسعفه فنّه، فصور تلك النِّعمة الغامرة تصويراً ما يزال يعبق بأريج النَّعيم .

- ولنستمع ونستمتع معه، مترنِّماً بحسن المتوكلية، ورونقها ،يقول:

يَهْنِيكَ في "المُتَوَكليَّةِ" أنَّها حَسُنَ المَصِيفُ بها ، وطابَ المَرْبَعُ

فيْحاءُ مُشْرِقةٌ يَرِقُّ نَسِيمُها مِيثٌ تُدَرِّجُهُ الرِّياحُ وأجْرَعُ

وفَسِيحةُ الأكْنافِ ضَاعَفَ حُسْنَها بَرٌّ لها مُفْضىً وبَحْرٌ مُتْرَعُ[٩٢]

وفي قصيدة أخرى يصف قصري المتوكل " الصبيح " و " المليح " ،يقول:

واسْتُتِمَّ الصَّبِيحُ في خيْرِ وقْتٍ فَهْوَ مَغْنَى أُنْسٍ ودارُ مُقَامِ

ناظِرٌ وِجْهَةَ المَلِيحِ ، فَلَوْ يَنْـ ـطِقُ حَيَّاهُ مُعْلناً بالسَّلامِ

أُلْبِسَا بَهْجةً ، وقابَـــلَ ذا ذا كَ ، فَمِنْ ضَاحكٍ ومنْ بَسَّامِ
كالمُحِبَّيْـنِ لوْ أطَاقا الْتِقـــاءً أفْرَطَا في العِناقِ والالْتـزَامِ(٩٣)

ويصور ذلك النَّعيم المفرط الذي يصل إلى درجة الأوهام والأحلام، ويستعصى على الوصف، قائلاً :

حِلَلٌ منْ مَنازِلِ المُلْـكِ كالأنْـ ـجُمِ يَلْمَعْنَ في سَوادِ الظَّلامِ
مُفْحَمَاتٌ تُعْيي الصِّفاتُ فما تُدْ رَكُ إلا بالظَّـنِّ والإيهـــامِ
فكأنَّا نُحِسُّها في الأمَـــانِي أو نَرَاها في طَارِقِ الأحْـلامِ (٩٤)

ومن أبرز قصائد البحتري في وصف القصور، تلك القصيدة التي أنشأها في وصف قصر الكامل، ويقول فيها:

لمَّا كَمِلْتَ رَوِيَّـةً وعِزيـــمةً أعْمَلتَ رأيكَ في ابْتِناءِ "الكَاملِ"
وغَدَوْتَ منْ بيْنَ المُلوكِ مُوفَّـقاً منهُ لأيْمَنِ حِلَّـةٍ ومَنـــازِلِ
ذُعِرَ الحَمامُ وقدْ تَرَنَّمَ فوْقَـــهُ منْ مَنْظَرٍ خَطِرِ المَزَلَّـةِ هائِـــلِ
رُفِعَتْ لِمُنْخَرقِ الرِّياحِ سُمُوكُـــهُ وَزَهَتْ عَجائبُ حُسْـنِهِ المُتَخايـــلِ
وكأنَّ حِيـــطانَ الزُّجاجِ بِجَـــوِّهِ لُجَجٌ يَمُجْنَ على جُنُـوبِ سَواحلِ(٩٥)

وفي الأبيات السابقة نرى البحتري يصف الكامل ، فلا يدع معلماً من معالم عظمته إلا أبرزه، فهو يجسِّد سموقه بذعر الحمام الموقع في ذراه ، ويعبِّر عن أنيق صنعه ، بحيطانه البللورية المتموجة، وبرخامه المتماوج، تماوج السَّحائب المتداخلة ، وبسقوفه الذَّهبية المشعَّة، وببستانه العبقري الموشّي بالألوان، والمرتوي من فيض دجلة، والعبق بنسائم الصّبا، تراقص أشجاره، الحالية بالثَّمر، والعاطل منه.

إنّ وصف البحتري للقصور ليرتبط بالطَّابع الحضاري كما ذكرنا سابقاً ، " فنراه في الأبيات التَّالية في وصفه قصر "المعشوق" يصف مجالس

اللهو، والموسيقى ، والغناء ، ومجالس الخمر ، مما كان ينتشر في أجواء تلك القصور العباسية " [٩٦]، يقول:

لَمْ أرَ "كالمَعْشُوقِ" قَصْرًا بَدَا لأعْيُنَ الرَّائينَ غيْرَ "المشُـوقِ"
هذاكَ قـــدْ بَـرّزَ في حُسْـــنِهِ سَبْقاً، وهذا مُسْرع في اللُّحُـوقِ
هما صَبُوحٌ باكِــرٌ غَيْمُـــــهُ تُثَنِّيَ في أعـْقابِهِ بالغَـــــــبوقِ
الماءُ لا يَبْعَثُ لــِي نَشْـــوةً فَعَاطِني سَـوْرَةَ ذاكَ الرَّحِـــيقِ
حَسْبُكَ أنْ تَكْسِرَ منْ حَدِّهـــا بالنَّغَمِ الصَّافِـــي عليها الرَّقِـــيقِ
آليْتُ لا أشْـــرَبُ مَمْزُوجَـــةً إنْ لمْ تَكُـنْ مَزْجَةَ رِيـــقٍ بِرِيقِ[٩٧]

ومهما، يكن فإن البحتري استطاع أن يقدّم لوحات وصفية كاملة ، بوصفه تلك القصور التي يرى فيها الخلفاء، وكأنّما سخِّروا لها وسخِّرت لهم، وبذلك أخرجلنا صوراً رائعة للعمران والبنيان في ذلك العصر.

وخلاصة القول ...

- إنّ البحتري قد اعتمد في معظم مدائحه على الصّور والألفاظ المستمدّة من الموروث الإسلامي.

- إنّ المدحَ في شعرِ البحتري، بما تضمنَه من صورٍ حضاريةٍ قد تضمَّن دلالاتٍ تاريخية متعددة؛ ومنها علمه بتاريخ الفرس، وإعجابه بحضارة آل ساسان، فكان يشيُد بأصولِ ممدوحهِ الفارسية وحضارتهم، وسالف أمجادهم.

- كما تضمُّ مدائحهُ دلالات على أنّه كان ذا اطلاع واسعٍ على الحضارة الفارسيةِ وأكاسرتِها ، مثل: ذكرهِ لأسماءِ عظماءِ الفرس، وملوكهم، وأعيادِهم.

- إنّ سينية البحتري في وصف إيوانِ كسرى، قد خَّلد فيها البحتريُ القصرَ، وكذلك معركةُ أنطاكيةِ المصورةُ على جدرانِ القصر، والتي انتصَر فيها الفرسُ على الروم، وقد برع في تجسيد المعركة برجالها وأسلحتها، والصِّراعِ الدَّائر بين الطَّرفين، والمشاعر الأليمة بصوره الرائعة، المتواليةِ في تلك القصيدة الخالدة.

- ونلاحظ ظاهرةً في صورِ الحضارةِ في شعره، وهي ظاهرةُ الألفاظ الفارسيةِ (التّعريب)، وقد لاحظ الناقد الكبير أبو عثمان الجاحظ انتشارَ الألفاظِ الفارسيةِ في العصرِ العباسي ، ويمكننا إحصاءُ أعدادٍ كبيرةٍ من الألفاظ الفارسيةِ المعَّربة، في مدائحَ البحتري ، وهذه الألفاظُ تتعلقُ بالثياب، والجواهر، والفلك، والأزهار، والألوان...

- يتردد في شعر البحتري ذكُر الأماكن الفارسية، وكذلك لاحظنا عنايةَ البحتريِ بأسماءِ أعيادِ الفرسِ التَّقليدية، وأهمُها النيروز والمهرجان .

- وقدّمت مدائح البحتري صورة رائعة للسّلطة الحاكمة في الدَّولة العباسية ، حيث أقامت العدل، ، وبسطت الأمن والاستقرار في المجتمع ، وكان الخليفة عادلاً بين الرعية ، ساهراً على راحتها.

- كما كان وصفُ البحتري للقصورِ العباسيةِ من خلال مدائحه ، مرتبطاً بالطابع الحضاري، فقد أجاد وصفَ المعالم ، والرخامِ، والتَّصاوير،

والبساتينَ، ومظاهر التَّرفِ والنّعيم، ومجالس اللهو والموسيقى والغناء، ومجالس الخمر، مما كان ينتشرُ في أجواءِ تلك القصورِ العباسية .

الهوامش

١- القصيدة المادحة (ومقالات أخر) : بروفيسور/عبد الله الطيّب ، دار الأصالة للصحافة والنشر، الخرطوم /السودان ، ط٢، ١٤٢٥-٢٠٠٤م ، :٨.

٢- البحتري (٢٠٤-٢٨٤هـ) : هو أبو عبادة الوليد بن عبيد ، طائي الأب شيباني الأم ، غلب عليه لقب البحتري نسبة إلى عشيرته الطائية بحتر. انظر: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري : لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي، تحقيق: السيد أحمد صقر ، دار المعارف ، مكتبة الخانجي ، ط٤، ١٩٩٢م، ج١، ص:٢، التعريف بالأنساب والتنويه بذوي الأحساب : أحمد بن محمد الأشعري الحنفي، دار المنار –القاهرة ، ط١، ١٩٨٦م، ج١،ص:٢٣٥ ، اللباب في تهذيب الأنساب :أبو الحسن علي الشيباني الجزري، دار صادر /بيروت، ١٩٨٠م، ١/١٢٣.

٣- البحتري بين نقاد عصره :صالح حسن اليظي ، بيروت ؛ لبنان ، دار الأندلس، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص:١٦٩.

٤- أعلام في الشعر العباسي :د. حسين الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٣م،ص:٢٢١.

٥- المرجع السابق، ص: ١٦٢.

٦- في الأدب العباسي: محمد مهدى البصير ، مطبعة النعمان/ النجف ، ط٣، ١٩٧٠ ، ص: ٢٤١.

٧- ديوان البحتري : أبو عبادة الوليد بن عبيد البحتري ،تحقيق: حسين كامل الصيرفي، دار المعارف، القاهرة،ط٣، ١٩٧٢م، ج١، ص ٥ .

٨- السابق ،ج١، ص ٩ -١٠ .

٩- البحتري بين نقاد عصره : مرجع سابق ، ص:٣٣.
١٠- الديوان ، ج١ ، ص ١٣.
١١- نفسه ، ج١، ص ١٧ .
١٢- نفسه ، ج١، ص ١٧ .
١٣- نفسه ، ج١، ص ١٩.
١٤- الصورة الفنية في شعر البحتري أبو صباح علي الطيب ، رسالة ماجستير ، جامعة أم درمان الإسلامية ، ١٩٩٨م، ص:١٥٦.
١٥- الديوان ، ج٢، ص ١٢٩٦.
١٦- نفسه ، ج٢، ص ١٢٩٨.
١٧- نفسه ، ج٢، ص١٢٩٩ .
١٨- البحتري بين نقاد عصره ، مرجع سابق ، ص ١٧٦ .
١٩- الديوان ،ج٢، ص ١٣٠٠.
٢٠- البحتري بين نقاد عصره ، مرجع سابق ، ص ١٧٦ .
٢١- الديوان،ج٢، ص ١٣٠١ .
٢٢- نفسه ، ج٢، ص ٦٥٧ ، الحاشية .
٢٣- نفسه ، ج٢، ص ٦٥٨.
٢٤- نفسه ، ج٢، ص٦٦٠- ٦٦١.
٢٥- للمزيد راجع: الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية: محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي، دار صادر/ بيروت، ص:٢٤٢/١.
٢٦- الديوان : ج١، ص ١٩٠.
٢٧- نفسه ،ج١، ص ١٩٢ .
٢٨- نفسه ، ج١ ، ص ٦٣٢.
٢٩- نفسه ،ج١،ص٦٣٧- ٦٣٨.
٣٠- البحتري بين نقاد عصره ، مرجع سابق، ص ١٨١ .

٣١- في الأدب العباسي ، محمد مهدى البصير ،مطبعة النعمان/ النجف ،ط٣/١٩٧٠ م،ص:٢٤٥.

٣٢- إيوان كسرى (أبيض المدائن) : كانت المدائن عاصمة الدولة الساسانية الشتوية وهى أشهر مدن عهد ساسان وأكثرها مداً وأبهةً . وهى مجموعة من سبع مدن صنعت على مرّ الزمن وتُدعى بالفارسية " تيسفون" Tespon وباليونانية " كتيسفون " Ctesuphon . ولها أسماء أخرى كالمدائن السبع وطاق كسرى، وفيها إيوان كسرى العجيب الشأن الشاهد بضخامة ملك بنى ساسان، قيل إنّ الإيوان هو ما أمر بصنعه إيرويز الأول بني في عهد سابور الأول . انظر: نهاية الأرب في فنون الأدب: شهاب الدين النويري، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان ، ط١، ٢٠٠٤م ، ص ٦٩٠.

٣٣ - شعر البحتري(دراسة فنية):د. خليفة الوقيان ، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط١/١٩٨٥م، ص:٦٦.

٣٤- الديوان ،ج٢، ص ٨٨٦.

٣٥- نفسه ،ج٢، ص١١٦٢.

٣٦- شعر البحتري، مرجع سابق ، ص:٨٠ .

٣٧- الفن ومذاهبه في الشعر العربي: شوقي ضيف ، دار المعارف ، ط١٣، ٢٠٠٤م ،ص ١٩٢ .

٣٨- الديوان ،ج٢،ص ١١٥٤.

٣٩- الأثر الفارسي في شعر البحتري : وحيد صبحي كبّابه ، كلية الآداب /جامعة حلب ، ثقافتنا للدراسات والبحوث-العدد السادس والعشرون-١٤٣٢-٢٠١١م، ص:١٢٢.

٤٠-الديوان :ج١ ،ص ١٠٧ .

٤١- الديوان ، ج٤، ص ٢١٩٩.

٤٢- نفسه ، ج٤، ص ٢١٥٩.

٤٣- نفسه ، ج٢، ص ٨٨٦.

٤٤- نفسه ،ج١ ، ص ٤٠٦.

٤٥- نفسه ، ج٢، ص ١١٨٠ .

٤٦- نفسه ،ج١، ص ٤٥٩.

٤٧- شعر البحتري، مرجع سابق ، ص :٣٠٧ .

٤٨- الديوان ، ج٤ ، ٢٢٥٠.

٤٩- تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الثاني) : د. شوقي ضيف، دار المعارف ، القاهرة، ط١٣ ، ص .٢٩٣

٥٠ - البحتري : نديم مرعشلي، دار الشرق الجديد ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٠م،ص:٣٥.

٥١- لفظة(الشعوبية) مأخوذة من الشعوب : جمع شعب، وهو ما تشعب من قبائل العرب والعجم ، وكل جيل شعب. وقد غلبت الشعوب بلفظ الجمع على جيل العجم ، و(الشعوبية) : نزعة في العصر العباسي تنكر تفضيل العرب على غيرهم و تحاول الحط منهم ، و أصحاب هذه النزعة الواحد شعوبي، والشعوبي : الذي يصغِّر شأن العرب ، ولا يرى لهم فضلاً على غيرهم. انظر: المعجم الوسيط : مجموعة مؤلفين ، الناشر/ مجمع اللغة العربية- مكتبة الشروق الدولية ، ط٤/ ٢٠٠٤م ، ٤٨٤ ، وللمزيد انظر: المناحي الفلسفية عند الجاحظ ، علي بو ملحم ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت، ط٢/١٩٨٨م ، ص:٤١.

٥٢- شعر البحتريً، مرجع سابق، ص:١٢٨ .

٥٣- انظر : ص: ٥ من هذا البحث ، يقول في مطلع القصيدة :

يا أخا الأزدِ ما حفظـتَ الإخـاءَ لمحـبٍّ وما ذكــرتَ الوفـاءَ

٥٤- وظاهرة التّعريب في كلام العرب، ظاهرة مقررة من أهل العربية ؛والتعريب ليس أخذاً للكلمة من اللغات الأخرى كما هي ووضعها في العربية ، بل التّعريب هو :أن تصاغ اللفظة الأجنبية بالوزن العربي. يقول سيبويه في هذا الصدد: (كل ما أرادوا أن يعرِّبوه ؛ ألحقوه ببناء كلامهم، كما يُلحقون الحروف بالحروف العربية). ويقول ابن منظور:

(تعريب الاسم الأعجمي ، أن تتفوه به العرب على منهاجها : تقول: عربته العرب ، وأعربته أيضاً). ويقول الجوهري : (تعرّب، أي تشبّه بالعرب ، وتعرّب بعد هجرته أي صار أعرابياً...وعرب لسانه بالضم عربة أي صار عربياً، وأعرب كلامه، إذا لم يلحن في الإعراب). انظر : الكتاب : لعمرو بن عثمان، الملقب سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٣، ١٩٨٨م، ص:ج٣٠٤/٤. ولسان العرب :محمد بن مكرم بن منظور المصري ، دار صادر بيروت ، ط١٤١٤/٣هـ ، ج٥٩٠/١ ، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٩٨٧/٤م،ج١/ ١٩٧٩.

٥٥- الديوان : ج،١ص٤٠٩.

٥٦- المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم: لأبي منصور الجواليقي ، تحقيق: د/ ف.عبد الرحيم ، دار القلم ، دمشق، ١٩٩٠م، ص:٣٤٥.

٥٧- الديوان: ج١، ص٤١١. وذكره كذلك في الديوان : ج١١١٣/٢، ١١٥٩.

٥٨- الديوان ٥٠٩/١. وذكر اللفظ في مواضع كثيرة في الديوان : ٧١١/١، ٨٥٢/٢، ٩٠٦/٢، ٩٨٩/٢، ٢٢٩٥/٤.

٥٩- عبقرية البحتري: عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت،ط١٩٦٣/١م، ص:١٢١.

٦٠- سير أعلام النبلاء : محمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط و محمد العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة/ بيروت ، ١٤١٣، ط٩، ج٥٨/٦.

٦١- الديوان ، ج٢، ص ٩٨٣- ٩٨٤ .

٦٢- الخرّمية : طائفة من الباطنية يدينون بما يريدون ويشتهون ، ولقبوا بذلك لإباحتهم المحرّمات من الملاذ ونكاح ذوات المحارم وشابهوا المزدكية من المجوس. الديوان : ج١، ص ٩ .والحاشية ٣٥.

٦٣- الديوان : ج ١، ص ٩ . وانظر كذلك قصيدته فيه : ج٢، ص ١٢٥٣-١٢٥٦.

٦٤- المجموعة الفارسية : د. محمد التونجي ، دار الفكر، ط٣، ١٩٦٩م ، ص:٧٥.

٦٥- الديوان ، ج٤، ص ٢٠٩٠-٢٠٩٢ .

٦٦- العصر العباسي الثاني ،مرجع سابق ، ص ٢٩٥ .

٦٧- الديوان ، ج١، ص٤٣١. والجوسق: فارسي معرّب ، وهو تصغير " كوشك" أي صغير.

٦٨- نفسه ،ج ٣، ص١٤٨٣. والسّاج: شجر جميل عظيم يُجلب من الهند . انظر: معجم المعرّبات الفارسية: د. محمد التونجي، ناشرون: مكتبة لبنان / بيروت، ط٢، ١٩٩٨م، :ص:١١٧.

٦٩- الديوان ،ج٣، ص ٢٠٠٦.

٧٠- شعر البحتري، مرجع سابق، ص ١٨٦- ١٨٧ .

٧١- المرجع السابق، ص ١٨٤- ١٨٥ .

٧٢- السابق ، ص:٥٣. غير أن البحتري في القصيدة يشير أيضاً في القصيدة إلى محاباته لقومه حين يقول :

ومساع – لولا المحاباة منى لم تطقها مسعاة عنس وعبس

٧٣- الديوان ، ج٢، ص ١١٥٤.

٧٤- نفسه ،ج ٢ ، ص ١١٦٢.

٧٥- نفسه ،ج ٢، ص ١١٥٥.

٧٦- نفسه ،ج ٢ ، ص .١١٥٦

٧٧- أمراء الشعر العربي في العصر العباسي : أنيس المقدسي، دراسة تحليلية لأدب ثمانية من أشهر شعراء العرب والجو الذي نشأوا فيه، بيروت: دار العلم للملايين، ط ٧، ١٩٨٩م ، ص: ٢٥٣ .

٧٨- المرجع السابق: ١٤٨ .

٧٩- الصورة الحركية في شعر البحتري:حسن جميل،مجلة جذور،مج١٩، جدة ، ٢٠٠م، ص:٧٣.

٨٠- اللون ودلالاته في شعر البحتري : نصرة محمد شحادة ، رسالة ماجستير ، جامعة الخليل ، كلية الدراسات العليا برنامج اللغة العربية ، ٢٠١٣م ، ص:١٦٠-١٦١

٨١- وصف الصورة (الرسم أو اللوحة) في الشعر العربي القديم : فاروق المواسي ، ثقافة الصورة في الأدب والنقد ، منشورات مؤتمر فيلادلفيا الدولي الثاني عشر، عمان، ط١، د.ت ، ص: ١٤٠.

٨٢- المرجع السابق ، ص ١٤٧ .

٨٣- البلهبذ : مغني وعواد كسرى أنوشروان ، والفرس يقولون: كان لكسرى أبرويز ثلاثة أشياء لم يكن لملك قبله ولا بعده مثلها : فرسه شبديز ، وجاريته شيرين ، ومغنيه وعواده بلهبذ . انظر: معجم البلدان : ياقوت بن عبد الله الحموي ، دار صادر بيروت ، ط١٩٩٥/٢، ج٣٥٨/٤.

٨٤- الديوان،ج ٢ ، ص١١٦٢.

٨٥- نفسه ،ج ٢ ، ص١١٦٢.

٨٦- نفسه، ج٢، ص ١١٦٢.

٨٧- أبو عبادة البحتري(رسالة ماجستير) : بابكر البدوي دشين ، جامعة الخرطوم ، ١٩٧٠، ص:١٤٢.

٨٨- الديوان ، ج٢ ص ٧٠٠.

٨٩- أبو عبادة البحتري، مرجع سابق، ص:٢٣٦.

٩٠- الديوان ، ٢ج، ص ١٠٣٩.

٩١- نفسه ،ج ٢ ،ص١٠٤٠.

٩٢- نفسه ، ج٢، ص ١٣١١ - ١٣١٢.

٩٣- نفسه ، ج٣، ص ٢٠٠٥.

٩٤- نفسه ، ج٣، ص ٢٠٠٦.

٩٥- نفسه ، ج٣، ص .١٦٤٨

٩٦- أبو عبادة البحتري(درس وتحليل) : محمد صبري ، طبع دار الكتب ، ١٩٤٦م، ص ١٠٤ .

٩٧- الديوان ، ج٣ ، ص١٤٦٧- ١٤٦٨.

المصادر والمراجع

- أبو عبادة البحتري(درس وتحليل) : محمد صبري ، طبع دار الكتب ، ١٩٤٦م.
- أعلام في الشعر العباسي :د. حسين الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ، ١٩٩٣م.
- أمراء الشعر العربي في العصر العباسي : أنيس المقدسي، دراسة تحليلية لأدب ثمانية من أشهر شعراء العرب والجو الذي نشأوا فيه، ط٧، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٩م.
- البحتري : نديم مرعشلي، دار الشرق الجديد ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٠م.
- البحتري بين نقاد عصره : صالح اليظى ، بيروت/ لبنان، دار الأندلس، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الثاني) : د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١٣.
- التعريف بالأنساب والتنويه بذوي الأحساب : أحمد بن محمد الأشعري الحنفي، دار المنار، القاهرة، ط١،١٩٨٦م.
- ديوان البحتري(أبو عبادة الوليد بن عبيد البحتري) ،تحقيق حسين كامل الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٢م.
- سير أعلام النبلاء : محمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط و محمد العرقسوسي، مؤسسة الرسالة/ بيروت، ط٩/ ١٤١٣ه.
- شعر البحتري(دراسة فنية):د. خليفة الوقيان ، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط١/١٩٨٥م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤/١٩٨٧م.
- عبقرية البحتري: عبد العزيز سيد الأهل ، دار العلم للملايين ، بيروت، ط١ ، ١٩٦٣م.

- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية: محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي، دار صادر/ بيروت.
- الفن ومذاهبه في الشعر العربي : شوقي ضيف ، دار المعارف ، ط١٣/ ٢٠٠٤م.
- في الأدب العباسي ، محمد مهدى البصير ، مطبعة النعمان ، النجف،ط٣/ ١٩٧٠م.
- القصيدة المادحة (ومقالات أخر) : بروفيسور/عبد الله الطيّب ، دار الأصالة للصحافة والنشر ، الخرطوم /السودان، ط٢/ ١٤٢٥-٢٠٠٤م.
- الكتاب : عمرو بن عثمان، الملقب سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٣، ١٩٨٨م.
- لسان العرب :محمد بن مكرم بن منظور المصري ، دار صادر بيروت ، ط٣/١٤١٤هـ.
- اللباب في تهذيب الأنساب :أبو الحسن علي الشيباني الجزري، دار صادر/بيروت ، ١٩٨٠م.
- المجموعة الفارسية : د. محمد التونجي ، دار الفكر، ط٣/ ١٩٦٩م.
- معجم البلدان : ياقوت بن عبد الله الحموي ، دار صادر بيروت ، ط٢/١٩٩٥م.
- المعجم الوسيط : مجموعة مؤلفين ، الناشر: مجمع اللغة العربية- مكتبة الشروق الدولية ، ط٤/ ٢٠٠٤م.
- معجم المعرّبات الفارسية: د. محمد التونجي ، ناشرون: مكتبة لبنان ، بيروت، ط٢/ ١٩٩٨م.
- المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم: لأبي منصور الجواليقي ، تحقيق: د/ ف.عبد الرحيم ، دار القلم، دمشق، ١٩٩٠م
- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري : أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، تحقيق: السيد أحمد صقر ، دار المعارف ، مكتبة الخانجي ، ط٤ / ١٩٩٢م.
- المناحي الفلسفية عند الجاحظ ، علي بو ملحم ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط٢/١٩٨٨م.

- نهاية الأرب في فنون الأدب: شهاب الدين النويري، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان ، ط١، ٢٠٠٤م.

رسائل علمية:

- - أبو عبادة البحتري : د/ بابكر البدوي دشين ، رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم ، ١٩٧٠م .
- الصورة الفنية في شعر البحتري : أبو صباح علي الطيب ، رسالة ماجستير ، جامعة أم درمان الإسلامية ، ١٩٩٨م.
- اللون ودلالاته في شعر البحتري : نصرة محمد شحادة ، رسالة ماجستير ، جامعة الخليل ، كلية الدراسات العليا برنامج اللغة العربية ، ٢٠١٣م.

مجلات :

- - الأثر الفارسي في شعر البحتري : وحيد صبحي كبّابه ، كلية الآداب /جامعة حلب ، ثقافتنا للدراسات والبحوث-العدد السادس والعشرون-١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

- الصورة الحركية في شعر البحتري: حسن جميل ، مجلة جذور، مج١٩ ، جدة ، ٢٠٠٥م.

- وصف الصورة (الرسم أو اللوحة) في الشعر العربي القديم ، ثقافة الصورة في الأدب والنقد ، فاروق المواسي ، منشورات مؤتمر فيلادلفيا الدولي الثاني عشر، عمان.